جغرافية منطقة أولاد نايل وأثرها في تحديد علاقة التمرد ضد السلطة العثمانية (1730-1830)

The geography of the Awlad Nayel region and its impact on determining the relationship of the rebellion against the Ottoman authority (1730-1830)

طالبي علي[1]
مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراثفي منطقة حوض الشلف
حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)
A.talibi82@univ-chlef.dz
حليلي بن شرقي
حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)
halilib79@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2023/04/18 القبول 2023/07/13 النشر على الخط 2024/01/15
Received 18/04/2023 Accepted 13/07/2023 Published online 15/01/2024

ملخص:

لعب الموقع الجغرافي والطبيعي المتنوع دورا في تحديد النمط المعيشي لقبائل أولاد نايل وعلاقتها بالسلطة العثمانية، فقبائل أولاد نايل تعتبر من أكبر القبائل الجزائرية، سكنت الريف لها فروع متعددة غلب عليها طابع الترحال والتنقل في حياتها الطبيعية إذ استطاع هذا العامل أن يؤثر في تحديد العلاقة بين الرعية والسلطة التي أدركت مدى تجذر البعد القبلي في المجتمع الجزائري.

سلطنا في هذا المقال الضوء على دور الموقع الجغرافي لقبيلة أولاد نايل الذي كان مؤثرا حقيقيا لما له من أهمية في إحداث التغييرات، حيث أعطى لها فرصة التمرد في جل صوره، وهو ما شكل خطورة على السلطة العثمانية التي راحت تحاول مجابهته بعديد الوسائل والطرق، في محاولة لكسب ودها وولائها تارة ومعاقبتها تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: أولاد نايل–التمرد–السلطة العثمانية–الموقع الجغرافي.

Abstract:

The diverse geographical and natural location played a prominent role in determining the lifestyle and lifestyle of the Awlad Nile tribes under the Ottoman authority. To influence the definition of the relationship between the parish and the authority, which realized the extent of the rootedness of the tribal dimension in Algerian society.

In view of the great role, in this study, I decided to shed light on the role of the geographical factor of the Awlad Nile tribe, which was a real influence because of its importance and indication of strength and depth in bringing about changes. And roads also gave them an opportunity to be friendly as a result of the harsh geographical and natural conditions, so it was necessary to approach them and gain their loyalty.

Keywords: *awlad Nayel – Rebellion – ottman authority- Geographical location.*

[1] – المؤلف المراسل: طالبي علي البريد الإلكتروني: **A.talibi82@univ-chlef.dz**

1. مقدمة:

خضعت الجزائر في بداية القرن 16م للحكم العثماني والذي امتد نفوذه وتوسعه إلى المناطق الجنوبية التي ضمت قبائل عديدة ومن بينها قبائل أولاد نايل وهي من بين القبائل التي توفرت على مميزات طبيعية وخصائص استراتيجية، فهي تتوسط القطر الجزائري وبطبيعة انتمائها القبلي أولت السلطة اهتماما بها خاصة أواخر الحكم العثماني.

لقد أخذت السلطة العثمانية تتعامل مع مختلف القبائل بعدة اتجاهات على حسب نوعية العلاقات التي كانت قائمة بينهما فعلاقة التمرد تحكمت فيه عديد العوامل ولكن أهمها وأبرزها العامل الجغرافي بمناخه المتنوع وتضاريسه المختلفة فقبائل أولاد نائل تحكم في نمط حياتها المعيشي الموقع الطبيعي بخصائصه والظروف المناخية المتنوعة التي أثرت على النشاط الاقتصادي والاجتماعي في التعامل مع السلطة، التي أولت لها أهمية كبيرة لدورها المتميز تارة بالولاء وتارة بالعداء في عدة مظاهر ، وقد تم تحديد الفترة الزمنية ما بين 1730م -1830م وهي المئة السنة قبل الاحتلال الفرنسي وأيضا كون أن العثمانيون تمركزوا في المنطقة في منتصف القرن الثامن عشر ميلادي.

وسنحاول في هذه الورقة البحثية أن نوضح طبيعة العلاقة بينهما محاولين في هذا الصدد الإجابة عن الأسئلة التالية: من هم قبائل أولاد نائل؟ وما موقعهم الجغرافي؟ وكيف أثر العامل الجغرافي في تحديد علاقة التمرد؟ وكيف كان رد فعل السلطة العثمانية على ذلك؟.

واعتمدنا في انجاز هذا المقال على المنهج التاريخي بأدواته الوصف والتحليل، لأنه يتناسب مع مضمون الموضوع.

2.التعريف بقبائل أولاد نايل وجغرافيتهم:

عُرِفَ عن قبائل أولاد نائل النسب الشريف والأصيل رغم اختلاف عديد الدراسات التاريخية في ظهورهم فأصولهم عربية وجذورهم حجازية، تأثر مؤسسهم نائل بالرحلات التي كان سببا في ظهورهم بالمنطقة وتعددت فروعهم، فشكلوا أكثر القبائل سكانا وامتازوا بموقع جغرافي متميز يتوسط بين الشرق والغرب الجزائري، وبمكونات طبيعية هامة ومختلفة.

1.2 . التعريف بقبائل أولاد نايل:

اختلفت عديد التقارير والدراسات التاريخية حول جذور وأصول أولاد نائل فهناك من يشير إلى أبعد من القرن 6هـ-12م وهناك من يرى بأن ظهورهم يعود إلى القرن 11م إلى الهجرات الهلالية ذي الأصول العربية فهم ينحدرون من فرقة الدواويدة Daouaouida[1] الهلالية التي امتدت سلطتها حتى بلاد المغرب الأقصى فهم عرب قادمون من الحجاز ومؤسسهم وجدهم الأول هو الشيخ محمد بن عبد الله الخرشفي الإدريسي الحسني ونشير إلى الاختلاف الواضح في تحديد ميلاده فقد ولد بمنطقة فجيج (فقيق)الواقعة جنوبي مدينة وجدة المغربية الحدودية[2] نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر من عائلة شريفة تنحدر من المولى إدريس الأكبر القادمة من الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى ، وينتهي نسبه الشريف إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

في بداية تعلمه حفظ القرآن الكريم حفظا تاما كما درس علوم الدين من فقه وحديث بزاوية الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني (ت1524)فكان مدرسه الأول وشيخه الذي نصحه بالتنقل والترحال نحو الجنوب فالتقى في طريقه الشيخ سيدي بلعباس الكربي في منطقة عين الريش التي تقع شرق مدينة الجلفة أي في بوسعادة بالمسيلة طلب العلم والمعرفة وأكمل دراسته الدينية فنال حظا وافرا من الأدب والعلم

[1] محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية: بحوث ميدانية، مج1، ط2، دار الفكر العربي،1997، ص1026.

[2] قارة مبروك بن صالح، تاريخ ومدن قبائل الجزائر: التركيبة الاجتماعية، النسب والانسان، ط1، منشورات المؤسسة الصحفية، المسيلة، الجزائر، 2012، ص 112.

والتصوف وهو من أهم التلاميذ النجباء للشيخ أحمد بن يوسف الذي نال البركة منه فكان محمد بن عبد الله سيدي نائل من ذرية عبد السلام بن مشيش (ت1228م) [1]، وأخر ذرية مولاي إدريس ،وفي سنة 1500م سافر في رحلة طويلة وشاقة استمرت سنوات للبقاع المقدسة لأداء مناسك الحج بعد توديع أهله وتركهم في رعاية أخيه مليك.

وقد تميز الشيخ بالعديد من الصفات والأخلاق الحسنة فهو رجل علم وحكمة وبركة وثروة ولقب بنائل لأنه نال الخير والفلاح بخدمة الصالحين ومحبتهم وموالاتهم فأصبح محط وقبلة عديد الزيارات واللقاءات من عديد الشخصيات واعتبر مرجعا دينيا وعلميا يقتدى به.

وللشيخ سيدي محمد نايل أربعة أولاد وهم يحي أكبرهم ثم مليك أي عبد الملك فهي تصغير للاسم ثم يأتي بعده أصغرهم وهو أحمد الملقب بلقب الفكرون وهؤلاء الثلاثة أمهم واحدة وهي سلمى بنت شعيب بن علي بن بوزيد الشريف أما الولد الرابع فهو زكري وأمه خيرة بنت أحمد بوحملة بن عيسى بن لقمان الشريف جد قبيلة الحمالات، وقد لاحظنا اختلافا كبيرا لدى المؤرخين في ابناء سيدي نايل فهناك من يشير إلى أربعة –كما أسلفنا الذكر–، وهناك من يشير إلى خمسة أبناء وهم : زكريا، عيسى، يحي ، مليك وفرج، وذلك نقلا عن شجرة سيدي نايل التي تم إعدادها وتنظيمها من طرف الشيخ الإمام سي عطية.[2]

ومنه يتضح جليا أن الشيخ محمد نايل قد تزوج بامرأتين فالأولى هي سلمى بالونشريس وذلك بعد رؤيته لمنام أما المرأة الثانية فهي خيرة ابنة سيدي شعيب بن سيدي بوزيد[3]، التي تزوجها في فترة مروره ومكوثه عند والدها بوادي الشعير .

وتتفرق قبيلة أولاد نايل إلى أربعة بطون رئيسية هي:

– أولاد يحي بن محمد نايل الذي له فروع عديدة ومنتشرة في في مدن وقرى مسيلة كعين الريش وسليم وبئر الفضة وعين الملح وفي قرى ومدن الجلفة كمسعد ودار الشيوخ وفيض البطمة وقطارة والمجبارة وبسكرة في رأس الميعاد وفي ورقلة بتقرت وفي غرداية بالقرارة.

–أولاد سيدي مليك بن محمد نايل الذي له فروع عديدة ومنتشرة في سيدي عامر وتامسة بالمسيلة وعين الإبل ومسعد والزعفران والقديد وتعظميت وحاسي بحبح وعين معبد بالجلفة وقصر الحيران بالأغواط.

–أولاد أحمد بن سيدي أحمد الفكرون بن محمد نايل المتواجدون في سيدي عامر في المنطقة المحصورة ما بين سمارة وجبل امساعد بالمسيلة.

–أولاد سيدي زكري بن محمد نايل المتواجدون في المسيلة ببن سرور والجب ومحمد بوضياف وعين فارس والزرزور وفي بسكرة بالبسباس والشعيبة وأولاد جلال.

ويطلق على عرش أولاد نائل بيت الكحلة أي بيت الشعر ويعود هذا الوصف واللقب إلى طبيعة رمز أصلهم الشريف وقبيلة أولاد نائل تعود كلها إلى قبيلة زغبة أكبر قبيلة هلالية[4]، لتنقسم إلى صنفين أحداهما قبائل أولاد نائل الشراقة تابعة لبايليك الشرق وهم الذين سكنوا الناحية الشرقية يتكونون من عشرة قرى و19 قبيلة خاصة منها أولاد خالد وأولاد لعور وأولاد عيفة وأم الاخوة وفرج وسيدي بوزيان، والأخرى قبائل الغرابة تابعة لبايليك الغرب وهم الذين سكنوا الناحية الغربية كسكان أولاد رحمان بعين وسارة واولاد مختار الغرابة وأولاد سيدي احمد أولاد

[1] مباركي بلجاج، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل، منشورات السهيل، الجزائر، 2009، ص 11

[2] نعاس علي، عبد القادر زياني، تنبيه الاحفاد بمناقب الأجداد، ط2004، دار الكتاب الحديث، ص 12. وايضا ينظر: عبد الرحمان الديسي، تحفة الافاضل في نسبة أولاد نايل ، تح: عبد الكريم قذيفة، نشر الجمعية الثقافية عبد الرحمان الديسي، المسيلة، 2012، ص ص 51–52.

[3] محفوظي عامر، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، مطبعة النعمان، الجزائر، ط1، 2002، ص14.

[4] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954، ج7 (الجزائر: دار الغرب الاسلامي،ط1)،2007، ص ص 322 –323

يحي بن سالم وأولاد سيدي عيسى والصحاري وأولاد أم هاني بالقديد، وقبائل أولاد نايل تقطن الجبل أو الصحراء وقد عرفها أحمد بن هطال التلمساني [1] في كتابه رحلة محمد باي الكبير ".....هناك أعراب راحلة ومقيمة...".

كما عرف عنهم حبهم وشغفهم للحرية والمغامرة والحفاظ على العادات والتقاليد وطابع الترحال والتنقل والكرم والسخاء والإيثار، كما اتصفوا بالقوة والعدة من ناحية كثرة الرجال والماشية والخيل وقوة تمسكهم وارتباطهم بالدين الإسلامي الحنيف وتطبيق شرائعه وتعاليمه من وضوء وصلاة وزكاة وصوم وقد اهتموا بحفظ القرآن الكريم وتلقينه للأطفال وكذلك تميزوا بمساعدة المحتاج وحسن الضيافة والوفاء بالعهد فهذه من من خصائص الحياة البدوية وعندهم يحظى أهل العلم والإصلاح من أئمة وشيوخ ومرابطين بمكانة رفيعة ومنزلة عالية نظير دورهم وأعمالهم الجليلة خاصة في المجالين الاجتماعي والديني . وعرف على المنطقة وجود زوايا دينية كزاوية الشيخ بن عرعار بحاسي بحبح سنة 1780وزاوية عين أفلال ببويرة الأحداب سنة 1811وزاوية الشيخ محمد بن مرزوق ببنهار سنة 1825 والزاوية الشاذلية بالشارف غرب الجلفة سنتي (1820-1825)[2].

وسكن أولاد نايل الخيمة الحمراء أو البيت الحمراء المميزة عن باقي الخيم الأخرى وذلك لغرض من الشيخ سيدي نايل في أن يكون معروفا ومشهورا عند العديد من زواره وطلبته الوافدين إليه من كل حدب وصوب لطلب العلم وغايات أخرى وصنعت الخيمة من صوف الغنم وشعر الماعز ووبر الإبل لتوفر الحرارة[3] والتدفئة من البرد الشديد في فصل الشتاء وتفادي الأمطار والثلوج كما أنها توفر الظل من الحرارة الملتهبة في فصل الصيف فهي راحة واستقرار للنايلي وتحتوي بداخلها على أدوات وأغراض وأثاث متنوعة تساعد ساكنها في حاجياته اليومية فالخيمة هي مأوى مناسب وهام لحياة التنقل والترحال ومجابهة صعوبات الحياة.

وفي أواخر حياة الشيخ سيدي نائل استقر بصحراء مسيلة وانتشر ابناءه في عديد المناطق والأماكن واتخذ الشيخ الخيمة الحمراء رمزا لخيمته كما أسس زاوية لتعليم القرآن وحفظه وقد اختلفت الروايات حول مدة حياته وقيل أنه قد عاش مدة 90سنة ودفن في مقبرة الصبان بضاية وادي اللحم بمنطقة تحمل اسمه اليوم [4]ويتواجد اولاد نايل حاليا عبر عديد الولايات كالأغواط وبسكرة والمسيلة وتيسمسيلت ومنبعهم الجلفة.[5]

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبيرباي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري،تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم،(القاهرة: عالم الكتب، ط1،1969،ص 36

[2] محفوظ عامر بن المبروك، تحفة السائل بباقة من تاريخ أولاد نايل، دون طبعة، حاسي بحبح، الجزائر، 2006، ص ص 25-31

[3] جمعية أولاد نايل لحماية الآثار وترقية التراث، الخيمة النائلية او البيت الحمراء
http://ouladnailmessaad.blogspot.com/2013/03/blog-post_16.html، 2019/09/13.

[4] عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية 1520-1830، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،2020/2019، 173

[5] الميلود قويسم، موسوعة التحقيق المتكامل في مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد نايل ومن جاورهم من العروق والرفق والقبائل الجزائرية، دار الهدى، 2006، ص 02.

2.2 التعريف بجغرافية المنطقة

عرف عن موقع قبيلة أولاد نائل التنوع الطبيعي والجغرافي فاستطاعت أن تطل على موقع استراتيجي مميز ومتميز فهي همزة وصل بين الشمال والجنوب إضافة أنه مركز عبور ونقطة التقاء بين الشرق والغرب ويمتاز مناخها بأنه ذو طابع قاري جاف أو شبه صحراوي جاف يتميز بقلة وندرة الأمطار.وعدم انتظامها وقصر مدة التساقط وامتداد مدة الجفاف[1]، كما أنه بارد شتاء وجاف وحار صيفا وبه رياح قوية جافة

إن النطاق الجغرافي لمنطقة أولاد نائل يمتد بين بايليك التيطري وبايليك الشرق، كما انه يمتد من اولاد جلال(بسكرة) شرقا إلى زنينة (الادريسية حاليا)غربا ومن دزيرة نواحي تقرت جنوبا إلى قلتة السطل شمالا كما أن هناك دراسات أخرى. تقول بأنه امتداد جغرافي إلى منطقة الهضاب العليا والتي جاءت محصورة بين مناطق التل شمالا والصحراء جنوبا كما تقع جنوب قصر البخاري شمالا إلى غاية حدود الاغواط وتقرت جنوبا [2]، ومن منتصف الزيبان شرقا إلى حدود جبل العمور غربا كما لها نطاق جغرافي أخر يكمن في امتدادها من جبال الأطلس التلي شمالا مرورا بالهضاب العليا الوسطى وجبال الأطلس الصحراوي وصولا إلى تقرت جنوبا ومنطقة وادي ريغ حتى تخوم الصحراء في الجنوب ومن حدود أيالة وهران غربا عبر جبل عمور والأغواط وميزاب بالجنوب الغربي حتى حدود بايليك الشرق بقسنطينة إلى شرقي الحضنة ومنطقة ميزاب.[3]

تتوفر منطقة أولاد نائل على امكانات طبيعية ومؤهلات ممتازة، حيث بها عديد الأودية كوادي عمورة ووادي عبد المجيد ووادي الحميضة[4] ووادي الشنوف ووادي البسباس وغيرها ونجد عديد العيون المائية كعين سلمانة وعين دمد وعين الشارف وعين الحواجب وغيرها والآبار المائية الكثيرة والينابيع وكذلك نجد غدير مقسم أولاد سيدي عيسى أما عن الأشجار فهي كثيرة كالبطم الأطلسي والطرفا وبعض النخيل وتتوفر المنطقة على الحشائش القصيرة النباتية الاستبسية والأعشاب الطبية القصيرة أيضا التي تتأقلم وتتكيف مع ظروف البيئة وجغرافيتها المناسبة للمناخ، ونلاحظ كثرة نبات الحلفاء المقاوم للجفاف والذي يشغل مساحات خضراء واسعة إضافة إلى أنواع تضاريسية متعددة فهناك سلسلة جبلية خاصة التي تقع في المنطقة الشرقية للأطلس الصحراوي منها الجبل الأزرق[5] أو جبل زرقاء والجبل الأخضر بالشارف وكذلك نجد السهول الخصبة الغنية كسهل زنينة وسهل مسعد وسهل فيض البطمة ونجد أيضا الشطوط المتواجدة في الناحية الشمالية للأطلس الصحراوي وتكون حوضا مغلقا محدودا بالهضاب ووجود الواحات في الجنوب والحمادات في مسعد إضافة إلى الكثبان الرملية وتتميز بقصر الطول الانتقاليين فصل الصيف والشتاء[6].

---

[1] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)،(الجزائر: المؤسسة الوطنية لكتاب ،1984،ص ص : 32 – 33

[2] سعد بلخيرات، مقال منشور في مجلة الوسط على الموقع الالكتروني https://elwassat.dz/ / ، تاريخ الاطلاع 22 مارس 2022.

[3] (ARNAUD)(L)":histoiredesouledNail,Revue africaine, N17, 1873, p277.

[4] جيلالي بن فرج، أسواق أولاد نائل الموسمية،من خلال الرحلات الحجيةبين القرنين 16و18 م ، مجلة العصور الجديدة،مجلد10 ، العدد 4، 1442/12 ، 2020، ص 231

[5] محمد بلقاسم الشايب، الجلفة تاريخ ومعاصرة ، مراجعة احمد السبع، (الجزائر : دار اسامة)،2007 ، ص ص : 16-20

[6] ودان بوغوفالة، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينة المدية و مليانة في العهد العثماني،ط1، (الجزائر: مكتبة الرشاد و النشر و التوزيع ،2009،ص ص: 89-93

وقد تحدث الرحالة والمستكشفين عن جغرافية المنطقة حيث اشاروا الى أن بعض أراضيها خشنة صلبة.وحجرية إضافة أنها عطشاء كما أنها وعرة حرشة وفيها القاحلة الجرداء ليست صالحة للزراعة كما بها عديد المسارات والمسالك البرية للهضاب الوسطى ومشارف الصحراء فهي منطقة وسط بين شمال الصحراء محصورة بين الجنوب الشرقي والجنوب الغربي.

فحياة النايلي تمركزت حول عديد المظاهر الطبيعية من كثبان الرمال الصحراوية والتضاريس المختلفة مما جعل قبائل أولاد نائل أن تكون من أبرز قبائل الصحراء الجزائرية قوة وأكثرها عددا ولصعوبة مناخها وتضاريسها الوعرة جعلت ساكنتها تتميز بحياة التنقل والترحال خلال الفصول ومنطقة صراع وتجاذب بين عديد القبائل من جهة والسلطة من جهة أخرى[1].

3 .العامل الجغرافي وأثره في تحديد علاقة الولاء أو الرفض مع السلطة العثمانية:

استحوذت قبائل أولاد نائل على مساحات شاسعة، وبموقع جغرافي تميز بالبعد وبتضاريس متنوعة ومختلفة وصعبة، أدت إلى اعتماد حياة التنقل والترحال كنمط معيشي نظير موقعها الجغرافي الذي اثر كثيرا على طبيعة علاقتها مع السلطة العثمانية ممثلة في بايلك التيطري، فعامل الرفض كان نتيجة ظروف خاصة حتم عليها ذلك.

1.3. الموقع الجغرافي:

لعب دورا كبيرا في تمرد القبيلة ضد السلطة العثمانية فهو خاصية مهمة لما يحتويه في طياته من تأثيرات كبرى على تلك العلاقة المتجذرة والكامنة بين الطرفين أي السلطة العثمانية وقبائل أولاد نايل، فالموقع يمثل أحد أسس وركائز قوة السلطة ووجودها واستمراريتها، إلا أن هذه القبيلة استطاعت أن تؤثر على تواجد هذه السلطة خاصة أواخر الحكم العثماني بفضل تمركزها وتموقعها بعيدا عن مركز الحكم والقرار للسلطة المركزية المتمثلة في مقاطعة دار السلطان، وعن السلطة الفرعية التابعة لها وهي بايلك التيطري إداريا وجغرافيا . [2]

فالموقع البعيد عن أعين السلطة صعب من مهمتها وتحكمها في المنطقة، فكانت في عديد الفترات غائبة مما أدى بهذه القبائل لممارسة أنشطتها اليومية بمرجعية تستند لحكم شيوخها وأعرافها وتقاليدها المعروفة.

وتتواجد قبائل أولاد نايل باختلاف بطونها وأعراشها في الهضاب العليا الوسطى حتى مشارف الصحراء وبمساحة شاسعة وطبيعة شبه صحراوية في القطب الجنوبي بمناخ جاف وتضاريس صعبة ، في المنطقة المحصورة ما بين الأطلسين التلي والصحراوي[3]، وعرف عنها القوة العددية لكثرة الفروع بها ،وهو ما يؤكده ابن هطال في قوله :" وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد وأهلها أصحاب قوة وعدة وعزم ".[4]، وهو ما يؤكد ابن زاكور ايضا في قوله :".. أنهم أكثر قبائل العرب رجالا وماشية وخيلا..".[5]

يمتاز سكانها بأنهم بدو رحل فهم يتجهون شمالا بحثا عن الماء والكلأ عندما يشتد جفاف الصحراء أو القحط الشديد ولهيب الحرارة وقساوة الظروف الطبيعية فرضت عليهم التنقل باتجاه الجنوب عندما تجود السماء بالأمطار وتنمو الحشائش والنباتات الطبيعية القصيرة والمختلفة

---

[1] نائبي سنوسي ، مساهمة قبائل أولاد نايل في المقاومات الشعبية من خلال المصادر الفرنسية ، مذكرة ماجيستير ، جامعة الجزائر 02، 2014، ص 38

[2] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص ص216-217

[3] (ARNAUD)(L)":op.cit,p338.

[4] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 50

[5] ابن زاكور ، ثلاث رحلات مغاربية، رحلة ابن زاكور الفاسي المتوفى (1120-1708) ، تح: مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، وزارة الثقافة الجزائر، 2011، ص 242.

فتتحرك القبائل النايلية بفروعها بين الشمال والجنوب والمتتبع لحركية الهجرة يرى أن لهم رحلتين هامتين هما رحلة في الشتاء والربيع[1] نحو الصحراء ورحلة في الصيف نحو الشمال أي المناطق التلية كما تميزت هذه الرحلات بالاستمرارية والنشاط عبر عديد الأماكن والمناطق فمثلا نجد التوجه إلى قصر البخاري وعين بوسيف والعلمة وسرسو وقصر الشلالة وسطيف حيث يتوفر العشب والماء وجنوبا نحو تقرت وعين ماضي وعين تاجمولت وكانت الرحلة طويلة وشاقة تستغرق أسابيعا ولا تتم إلا بعد خطوات أساسية منتظمة بدايتها باستطلاع المكان ومعرفة ظروف الحياة المحيطة به وهذا بهدف استمرارية الحياة وضمان سلامة وأمن الحيوانات.

فاعتمدت القبيلة على دعامتين هما الأرض ومكنوناتها والماء هو مصدر العيش فهما اللذان عملا على تماسك القبيلة وفاعليتها وبقاءها وتكون هجرتهم مرتبطة بالرزنامة الرومانية وحركة الفصول والشمس وقد اعتمدت القبيلة في الجانب الاقتصادي على متغيرات وخصائص الموقع الطبيعي والجغرافي من امطار وحرارة[2]، وفي الجانب الزراعي عرفت مواسم للحصاد والدرس في فصل الصيف، وغرس للخضر وتربية الماشية من أغنام وماعز وكذلك الإبل وغيرها فكان النمط المعيشي مؤثر عنه النمط الجغرافي أو البيئي في تحديد الحياة فهي ضمن قبائل الرحل التي تقطن الجنوب.

وقد واجهت الإدارة العثمانية صعوبة بارزة في التحكم في المنطقة فكان وصول الحملات العسكرية والمحلات القادمة إما للقضاء على تمردها وجعلها في طاعتها أو استخلاص الضرائب منها يستغرق وقتا طويلا للوصول إليها وتحضيرا مسبقا لبعد المسافة وصعوبة المسالك والممرات البرية فضلا عن تواجدهم في مساحات شاسعة، وهو ما يسهّل فرارهم أو اختباءهم في تلك الشعاب الوعرة من قبضة وقسوة حكام السلطة ،فيتجهون إلى الشرق أو الجنوب باتجاه المسيلة وبوسعادة والأغواط . فقبائل أولاد نايل فضلوا العيش بعيدا عن السلطة ، وقد تميزت المنطقة بعدم وجود هيئات أو مؤسسات رسمية تابعة للسلطة من شأنها التحكم فيها ومراقبتها،[3] وارتأت على نفسها أن تعيش في كنف الحرية والتمتع بحياة الكرامة رافضة الذل والخضوع .[4]

فالبعد في الموقع ميزة إيجابية للقبيلة ساعدها في تحديد النمط المعيشي المعتمد أساسا على التنقل والترحال بحثا عن الماء والكلأ في القبائل المجاورة ،وما يؤكد هذا الكلام ما قاله المؤرخ والكاتب ابن هطال بقوله :"في جهة القبلة رأى أنها بلدان كثيرة أعراب راحلة ومقيمة إلا أنها لم تنلها أيدي السلطة ولم يكن للملك مصلحة ولا منفعة ".[5]

2.3. التضاريس:

كان للتضاريس دورا مهما في تحديد ورسم علاقة التمرد ورفض السلطة ،فقد تميزت المنطقة بوجود تضاريس صعبة طغت عليها الجبال ذات الغطاء النباتي والجبال الصخرية ،والوديان العميقة والشعاب الوعرة والمساحات الشاسعة ذات المسالك الوعرة ،كل هذا أعطى لأن تكون

---

[1] الشافعي درويش، علاقة قبائل أولاد نائل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير، مجلة قبس للدراسات الانسانية و الاجتماعية، المجلد4،العدد1، جوان 2020،ص 850

[2] Carrett , Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842 ,1844-1845, paris, p 512.

[3] فلة موساوي القشاعي النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، القافلة للنشر والتوزيع، 2015، ص ص 68-69

[4] ويليام شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل امريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتر: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 29

[5] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 35

البيئة الجغرافية صعبة جدا على السلطة، وهو ما جعلها سدا منيعا وحاجزا صلبا أمام ما تسعى إليه السلطة في توسعها ومد نفوذها للمنطقة ومنها إلى الصحراء أواخر الحكم العثماني.

وللجبل خاصية وميزة رئيسية لسكان القبيلة فهو يعتبر الحصن المنيع والمنقذ لهم من ظلم السلطة ومطاردتهم لها جراء تهربهم الضريبي ورفضهم للمطالب المخزنية ،وقد تميز الجبل بالارتفاع وشدة الانحدار والقمم العالية ،فاستطاع السكان التأقلم والتكيف مع مع ظروف الحياة فيه متحملين المشاق والصعوبات يمارسون أنشطتهم من رعي وتربية الماشية وزراعة محدودة لتلبية حاجياتهم الأساسية.

فالجبل كان مأوى وملجأ من مطاردة السلطة لهم خاصة جبال عمور وبوكحيل وزكار والشارف التي تميزت بكثرة الأودية والممرات الضيقة والأحراش ومن أهم الأمثلة على ذلك نجد حملة باي الغرب الجزائري سنة 1785م على منطقة زنينة أي الإدريسية غرب الجلفة التي تبعد عنها ب 100كلم فعندما علم أهل المنطقة بقدوم الباي بجيش قوي فروا وتفرقوا عبر الجبال والوديان القريبة منهم خاصة في جهة الشرق أين نجد قصر الشارف الذي هو الجبل الأخضر كما ذكره ابن هطال وما يميزه الغطاء النباتي الكثيف والوديان والأحراش الوعرة [1]، وأيضا ما أشار اليه بن زاكور في قوله :".. وفي السادس والعشرين من شهر رمضان وصلنا الى جبل الصحاري وفيه منازل بني نايل، وهذا الجبل ما رأيت مثل طوله وكثر أشجاره وطولها..".[2]

كما فر سكان المنطقة عبر المساحات الشاسعة في جهة القنطرة ودمد وامجدل وغيرها وإلى جبال بوكحيل وسبع رؤوس ومجبارة وأوقيت هذا الأخير يقع شمال الولاية حاليا وهو جبل الصحاري ،وإلى جبل بطن دروة قرب امجدل ،وما يؤكد هذا الكلام هو ما أشار إليه الشريف الزهار أن الذين يسكنون الجبال تميزوا بصفة العصيان والتمرد في وجه السلطة فسكان أولاد نايل الجبايلية وقفوا في وجهها رغم ماتعرضوا له من مضايقات وحملات مختلفة من البايلكات الثلاثة التيطري والغرب والشرق[3]

كما وقفت العوامل الطبيعية والمناخية القاسية في فصل الشتاء من تأخر وصعوبة وصول الحملات العسكرية إلى المناطق المستهدفة بسبب الأمطار والثلوج والرياح والبرد الشديد الذي وقف في وجه البايات والجند مما من شأنه السماح بالاختباء والفرار، فبايات التيطري كانوا يقومون بشن غارات في فصل الشتاء لأن قبائل أولاد نائل تعود إلى مواطنها الأصلية بعد رحلة طويلة شاقة بحثا عن الماء والعشب عائدين من مناطق التل وبالتالي عندما يجتمعون في خيامهم ويتمركزون تتم مباغتتهم من طرف السلطة[4].

لعبت بعض الأماكن الوعرة من شعاب ومخابئ في استدراج البايات وجنودهم بقتلهم بعد محاصرتهم فهؤلاء يجهلون الخصائص والأماكن الطبيعية للمنطقة ،وهو ما حدث مع باي الشرق سفطة سنة 1772م عندما قتل على يد أولاد سيدي أحمد[5]، ويقول جورج فوزان في هذا

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 42

[2] ابن زاكور ، المصدر السابق، ص 242.

[3] الزهار احمد الشريف، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، 1168 هـ-1246هـ/1754-1830م، تح: احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974، ص 46

[4] المولود الامين قويسم، المقاومة الصوفية للإحتلال بمنطقة الجلفة : في الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962، في فعاليات الملتقى الوطني الاول بجامعة زيان عاشور ، يومي 25 و26 جوان 2013، الجلفة ، ص ص 73-74

[5] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي ، (1514-1930) دار هومة للطباعة و النشر ، ط1، 2012، ص 167

الشأن :"لقد حافظت الصحراء الكبرى والجبال الوعرة على استقلالها "،وهو ما يؤكد جليا أن قبائل أولاد نايل فضلوا العيش بعيدا عن السلطة فهم رحل عبر الصحراء والجبال والهضاب ساعدتهم الخصائص الطبيعية كما لهم نمط معيشي خاص[1]

لقد كلف بايات التيطري بجمع الضرائب والمغارم [2] على القبيلة بحكم سلطتهم وتبعيتهم الممتدة إليهم لكنهم عجزوا عن ذلك بسبب طبيعة الترحال وعدم الاستقرار وهي خاصية امتازت بها القبيلة واشتهرت في تهربها الضريبي بالاختفاء بين السهول والكثبان والوديان والجبال التي كانت مأوى لهم وأمام كثرة الضرائب واختلافها وتنوعها أثقلت كاهلهم وجعلتهم يتمردون وينتفضون على مدار سنوات عديدة خاصة أواخر الحكم العثماني[3].

4. رد فعل السلطة العثمانية على حركة تمرد قبائل اولاد نايل:

1.4. سياسة القوة:

قام حكام البايلكات الثلاثة وخاصة بايليك التيطري بشن غارات وحملات عسكرية وصفت بالتأديبية في مناسبات هامة عند رجوعهم إلى مواطنهم الأصلية عائدين من رحلتهم أو عند تجمعهم للرحيل كما لجأت السلطة إلى ارسال المحلة(القوة العسكرية)لنفس الغرض وتثبيت حاميات عسكرية مدعومة من قبائل المخزن خاصة أولاد المختار وحامية المسيلة هذه الأخيرة تعرضت لهجوم من طرف قبائل أولاد نايل، كما هاجموا حامية سور الغزلان سنة 1732م واستولوا عليها فهي نقطة عبور رئيسية بين بايليك الشرق ودار السلطان فاستعان باي التيطري بباي الشرق صالح باي وباي الغرب بوكابوس لإبعاد الخطر

ومن أهم الحملات العسكرية نجد حملة الباي عثمان سنة 1763م ضد أولاد سيدي أحمد بهدف تخليص الضرائب فقتل في موقع يعرف بكدية الباي[4]ثم حملة الباي سفطة سنة1772م ضد أعراب أولاد نايل حيث تمكن الشوافون – وهم فرسان من القبيلة مهمتهم استطلاع ورصد لتحركات لجيش البايلك- بمعرفة قدومه فقاموا بطلب الإمداد من قبائل أخرى ليباغتوا الجنود بعد خروجهم من وراء الكدية على مؤخرة سرية الباي سفطة فقتلوه مع الكثير من جنوده في منطقة الزعفران كما قام باي قسنطينة صالح باي بحملة عسكرية سنة 1773م عندما كانوا متواجدين في سهول قسنطينة فباغت أولاد فرج ببوسعادة وحصل الباي على غنائم كبيرة في معركة مالح أومسيف (1773م/1186)[5]، فبعث منها إلى داي الجزائر لإظهار قوته وانجازاته على القبائل المتمردة وفي سنة 1775 تمكن الباي مصطفى الوزناجي (1208/1188)(1794/1775)من فرض سيطرته على اولاد نائل بفضل قوته واعتماده على الحملات الخاطفة وشجاعته فحد من تحركاتهم وتمكن من مراقبتهم أثناء ترحالهم وعدم فرارهم وأشهر حملاته كانت على نواحي الزعفران .

كما قام الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري برحلة نحو الجنوب الغربي يوم الخميس9ربيع الأول 1119الموافق ل19يناير 1785تخللتها حملة عسكرية هدفها اخضاع القبائل المتمردة وشملت قبيلة أولاد نائل حيث اتجه إلى مدينة زنينة (الادريسية حاليا)منطقة جغرافية بامتياز غنية بخيراتها ومواردها تقع غرب قرية الشارف التي تمتاز بالجبل الأخضر، ويطلق على عرشها اسم العبازيز نسبة إلى جدهم سيدي عبد العزيز،

---

[1]George voisin :" l'Algérie pour les algériens, MichelLevyfrèreséditeurs, Paris,1861, p25

[2]الشافعي درويش، مرجع سابق،ص 850

[3]أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سابق،ص 36

[4]تقي الدين بوكعير ، تلخيص الجمام من حياة الحيوان لمحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي المعسكري – دراسة و تحقيق- ، د.م.ن، (2020/2019)، ص 21

[5]صالح عباد، المرجع السابق، ص 167

وتعود أسباب الحملة عليها عندما قاموا بطرد باي التيطري[1]مصطفى الوزناجي ومقتل رجلين له فأصر الباي على معاقبتهم رغم تدخل المشايخ والمرابطين وتأكيدهم لطاعتهم وولائهم للسلطة فجمع القبائل المخزنية المكاحلية في الشرق والزمالة في الغرب فهرب سكانها وصعدوا إلى الجبال تاركين أموالهم وخيراتهم بعدما عرفوا أنها معركة غير متكافئة لجنود الباي وخليفته محمد بن عبدالله الذي كلفه بغزوهم ، فقام الجنود بنهبها بعدما دخلوها دون حصار أو قتال فأخذوا القماش والحبوب والسمن فحقق الباي انتصارا كبيرا .

كما هاجم الباي محمد الكبير أولاد سعد بن سالم بجيش تعداده 2000فارس في منطقة القنطرة جنوب شرق زنينة وألحق بهم خسائر جسيمة سنة1785م وفي عهد الباي مصطفى بومرزاق قام بحملة استهدفت قبيلة أ أولاد فرج في عين الريش جنوب بوسعادة انتصر فيها وذلك بعد تحريض من شيخ أولاد مختار الشراقة المدعو أحمد بن قشيدة كما قام باي المدية ابراهيم القسنطيني (1817/1232)[2]، بحملة عسكرية على قبيلة أولاد ضياء سنة 1819وانتصر فيها على الشيخ بلقاسم بن رعاش بمنطقة المطمورة الكائنة جنوب جبل السحاري حيث تحصل على غنائم كثيرة منها 2000جمل و10000رأس غنم وذلك بسبب أن الشيخ بن رعاش قام بهجوم ليلي استهدف مخيم محلة تركية لإطلاق حصان محمل بالحلفاء المحترقة على المخيم فأحرقه كما قام باي الشرق احمد منماني سنة (1824/1239) بحملة وانتصر عليهم في معركة وادي اللحم (جيلالي بن فرج ، ص 241) ، وفي سنة 1822خرجت حملة من بايليك التيطري باتجاه الجنوب فوصلت إلى المنطقة وتوغلت داخل عمق الصحراء فوصلت حتى إلى جهة قلتة السطل وزاغر العربي وعين مسعود او باب مسعود غرب الجلفة ثم توجهت عبر منطقة الحوض بعين الابل جنوبا ووصلت إلى ضاية المحلة ومنها إلى وادي السدر ليتصدى لها فرسان اولاد سعد بن سالم فكانت نتائج المعركة مقتل 12من فرسان قبيلة أولاد سعد بن سالم و9من جنود الباي ورغم ذلك واصلوا في طريقهم وزحفهم لإبادة المتمردين والانتقام منهم لأماكن عامرة (أولاد مجبر)ومضارب قبائل السعادات حيث خربوها وحرقوا مخازن ومطامير الحبوب والاشجار.

وفي عهد الباي ابراهيم قام بمطاردة أولاد نايل[3] الرافضين لدفع الضرائب حيث قام لخضر بن قويدر شيخ أولاد المختار بإخباره عن تجمعهم قرب إمجدل ببوسعادة لينطلق في حملة مكونة من 300صبايحيا من البرواقية و550فارس من قبائل الدوابر وأولاد مختار فباغتهم لكنهم فروا إلى جبل بطن دروة قرب إمجدل وقتل منهم 12رجلا كما نشير تعرض قصر دمد وعامرة إلى حملات عسكرية لامتناعهم دفع الضرائب.

إضافة إلى حملات باي قسنطينة من (1800-1822) واعتمدت السلطة في حملاتها العسكرية على نظام وقوة القبائل المخزنية[4]، ويطلق عليهم اسم (القوم) في حين أطلق على القوات العثمانية اسم العسكر وذلك بمعرفة قبائل المخزن لأهم الدروب والممرات الخاصة في الجبال والسهول والوديان والمرتفعات والمنخفضات فهم العين الساهرة والحارسة على بعض المناطق فكانت علاقتهم بالسلطة علاقة ودون مساندة تقوم على المصلحة المتبادلة ونالوا العديد من الامتيازات والاعفاءات كما تكون الحملات خاصة في فصلي الخريف والربيع من كل سنة، وعلى الحاميات العسكرية التي هي فرقة عسكرية مهمتها تأمين طرق المواصلات في بعض المواقع المهمة فأدى ذلك إلى نشأة الصراع

[1]بن عتو بلبروات، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري ، مجلة الحوار المتوسطي ، المجلد 10 ، العدد 1 ، 2010، ص 102

[2]صالح عباد ، مرجع سابق، ص 222

[3]جيلالي بن فرج ،مرجع سابق، ص 222

[4]هلايلي حنيفي، الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني ، دورية كان التاريخية ، مجلة الدراسات التاريخية و الاثرية ، المجلد 12 ، العدد 46 ، 2019/12/31 ،ص 100

والأحلاف الدائمة والمؤقتة[1]، وقد سميت بمصطلح (وقت السيبة) كتحالف أولاد يحي بن سالم وأولاد سعد بن سالم على المواقع الهامة في الرعي وعن موارد العيش العشب والماء والدفاع عن القبيلة كما وقع أولاد سيدي أمحمد في حروب دامية مع قبائل مجاورة كأولاد مختار والمويعدات (البيرين) والبواعيش ومع السلطة العثمانية في حد ذاتها وكثرت النزاعات والاضطرابات بسبب التوسع من أجل الأراضي الجديدة والمراعي ومصادر الماء وطرق القوافل فكان صراعا مستمرا في غياب السلطة التي كانت عادة ما تؤجج الصراعات[2]وتغذيها لأسباب تهمها في بسط نفوذها على المنطقة ومساندة القوي بعديد الامتيازات وقد نجحت قبائل أولاد نائل في تهديد الوجود العثماني وزعزعة استقراره .

2.4. التحكم في الأسواق وفرض رقابة عليها

لقد وجدت قبائل أولاد نائل نفسها بحاجة ماسة للتعامل مع السلطة العثمانية من خلال ارتياد الأسواق القريبة والبعيدة الموسمية والأسبوعية لتلبية حاجيات القبيلة والبحث عن مصادر تغطي النقص وعن موارد لماشيتها وبما أنها في مفترق الطرق للأسواق التجارية كان لزاما عليها مواكبتها تحت إشراف وتنظيم السلطة في أطر قانونية صارمة فاستغلت السلطة العثمانية الأوضاع للضغط عليها وإجبارها على إتباع القوانين من ضرائب وغيرها فوضعت الأسواق تحت رعاية قبائل المخزن وبنت الأبراج والحصون بالقرب منها .

كما مارس الرعية التجارة في الأسواق راجلين أو راكبين على الأحمرة و الأحصنة و البغال والإبل محملين بالبضائع المختلفة من فلاحية أو حيوانية وينشطون في فصول الخريف والربيع والصيف[3]، ويتوقفون في فصل الشتاء لقساوة الظروف الجوية من أمطار وثلوج وبرودة شديدة، فدفعت القبيلة عديد المرات الضرائب التي تعطى من ماشيتهم وإبلهم ومنتجاتهم تدعى ضريبة الحصة فالقبيلة تلجأ لبيع حيواناتها وما تنتجه من جلود وأصواف ووبر ودهان وأنسجة إضافة إلى التمر وغيرها فهم يترددون بقوافل كبيرة على أسواق كثيرة حيث سمحت لهم السلطة بارتياد الأسواق والتزود بحرية من السلع والمنتجات والمواد المصنعة وغير المصنعة بغرض الاستهلاك من جهة أو التسويق في الجنوب من جهة أخرى .

كما قام حكام البايات لبايليك التيطري خاصة بتشجيع الهجرة الفصلية للتل لما فيها من توطيد لسلطتهم[4]، وتأكيد نفوذهم فكانوا يدفعون ضريبة تعرف باسم العسة أو المعونة على دخول المراعي الجديدة والإقامة فيها فكانت ضمن سياسة السلطة العثمانية القائمة على انتهاج سياسة اللين والمودة لكسبها وكذلك مراقبة الهجرة للبدو الرحل في طرق الصحراء ومراكزها والأسواق والمراعي في الهضاب ومن أهم الأسواق نجد سوق المكيد بين وادي القصب وقرية دمد في مسعد وسوق دمد من أهم الأسواق فهو منطقة تبادل بين الأفراد والركاب ولما تزخر به المنطقة من مزارع وبساتين لمختلف الخضر والفواكه وكذلك سوق عمورة التي وفرت الحبوب والعلف والألبان واللحوم والفواكه والدجاج لقوافل الحج وكانت تتم بالمقايضة بمنتوجات كمالية كالزينة والتجميل والطبخ.

كما هناك أسواق ظرفية تقام مع الأعراب الرحل في أماكن متفرقة كأسواق أولاد رحمان وأولاد مليك واعتمدت على نمط المقايضة ثم نظام مالي مبني على العملة النقدية أواخر الحكم العثماني بعد عديد الحملات المسلطة عليهم من قبل البايات تم اعتماد سكة الجزائر وهي الريال وهو ما يعكس تطور في نمط المعاملات التجارية وذلك بعد سنة 1797م أي لها تبعية سياسية واقتصادية لأيالة الجزائر.

---

[1] نصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق، ص 92

[2] سعد بلخيرات،مرجع سابق.

[3] يحي بوعزيز ، موضوعات و قضايا بتاريخ الجزائر و العرب ، ج1 ، (الجزائر: دار الهدى)، 2009، ص 527

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص ص 229-230.

كما ترى عديد الدراسات التاريخية أن العلاقة الكامنة بين السلطة والقبيلة تجذرت في تحصيل الضرائب فلجأت إلى طرق عديدة لاستخلاصها فقد فرضت حسب الموقع الجغرافي وطبيعة النشاط الاقتصادي الممارس فخصصت السلطة ما يعرف بالمحلة الخاصة والتي هي فرقة عسكرية قادمة من الجزائر لمساعدة الباي في أوقات محددة لتحصيل الضرائب والغلة فيتم تجميع الضرائب في البرواقية من طرف الخليفة المشرف على القبائل والذي بدوره يرافق الباي في هذه العملية ومن أهم الضرائب التي شهدتها المنطقة نجد :

– **الزكاة والعشور** : وتؤخذ من نتاج الأرض والحيوان أما العشور فهي من الضرائب الشرعية وتكون عشر 1/10المحصول

–**الغرامة** : هذه الضرائب تفرض على القبائل البعيدة من مركز السلطة ممثلة في المواشي والصوف أي منتوجاتها وتوزع الغرامات على الدواوير وتفرض في أوائل الربيع[1] لتسلم للخليفة الذي هو نائب الباي مما أدى بالقبيلة إلى الترحال والتنقل بعيدا

– **اللزمة** : :تفرض على الأشجار المثمرة كالنخيل يدفع مالكها ثمنا معينا على كل نخلة

– **الخطية:** هي ضريبة بصورة فردية أحادية تفرض عند ارتكاب الشخص للمخالفات أو القيام بعصيان أو تمرد او ارتكاب جريمة وتدفع نقدا

– **المعونة** : :تفرض على الرعية بغرض تموين المحلة في الأرياف وسد نفقات موظفيها فكانت عموما ضرائب تميزت بالتنوع والاختلاف أثقلت كاهل الرعية حيث كانت قبائل أولاد نائل الشراقة تدفع رسما يقدر ب 3150خروفا و90جملا و270جرة من زبدة الغنم ومبلغ من المال حدد ب 2700 ريال.[2]

3.4. سياسة اللين والرفق

كما كانت السلطة ممثلة في شخصية حكام البايات تتعامل مع قبائل أولاد نائل عن طريق الشيوخ والزعماء المحليين للبعد الجغرافي عن مركز الحكم وهؤلاء توارثوا الحكم معتمدين على قوة نفوذهم الديني ونسبهم وأصلهم وكفاءتهم الحربية فكانوا مثالا حقيقيا يؤمن به أفراد القبيلة ويحترمونه ويعملون على كسبه بكل الوسائل وشتى الطرق فيضمن ولاء الأفراد ومبايعتهم وهذا الشيخ يعين من أعيانها وشرفائها ومن مهامه ماتعلق بالقبيلة ونشاطاتها اليومية وعلاقاتها الداخلية والخارجية ومن خلالهم حاولت السلطة كسب ود وولاء عدد كبير من العائلات والقبائل العاصية [3]، فتم منحهم امتيازات وتسهيلات وإعفاءات من الضرائب ومنحهم أراضي ومن أشهر هؤلاء الشيوخ: الشيخ المقري (شيخ قبيلة أولاد عامر)، سيدي أمحمد بن علية، أولاد سي أحمد بقيادة الشيخ التلي بلكحل، وسيدي بن عيسى المايدي والشيخ بلقاسم بن رعاش من أولاد عبد القادر (أولاد ضياء)، وذلك نظير أعمالهم ومجهوداتهم في استتباب الأمن وتنمية المنطقة.

كما عرفت المنطقة الهدوء والأمن والإستقرار في عهد الباي مصطفى الوزناجي[4]، الذي كسب ثقة الأجواد وأصحاب الشأن والجاه والنفوذ كالشيخ التلي بن لكحل والشيخ بلقاسم بن رعاش سنة 1775 بإعطاء الهدايا والتشريفات وتقديم خدمات جليلة خاصة بعدما ساهم

[1] نصر الدين سعيدوني ،مرجع سابق، ص96

[2] المرجع نفسه، ص ص 229-230.

[3] Au capitaine et ferderman R.A, Notice sur l'histoire et l'administration de Beylk de téteri, Vo09, 1865, p285

[4] سعد بلخيرات، مرجع سابق.

أولاد نائل في الدفاع عن الجزائر ضد الحملة الصليبية الاسبانية بقيادة اوريلي ORIElY سنة 1775م بجيش قوامه 10ألاف مقاتل وهو ما أدى إلى استتباب الأمن والهدوء وتنظيم الحكم من جميع الجوانب ووفرة النشاط الاقتصادي في عهده خاصة.[1]

وقد لعب المرابطون الذين تمتعوا بنفوذ كبير وسمعة عالية عند الرعية دورا بارزا على مستوى القبيلة في حل المشاكل المتنازعة وفض الخصومات والتصالح بين الأفراد فقربتهم السلطة إليها ومنحتهم امتيازات وتسهيلات وإعفاءات[2]، حيث في سنة 1816تم منح منصب شيخ لأولاد عيسى ومنصب أخر لأولاد سعد بن سالم وذلك لاستمالة أكبر عدد من شيوخ الفروع الأخرى لأولاد نائل كأولا د أم هاني في القديد وزنينة وأولاد لغويني في حاسي بحبح وتعظميت وأولاد ضياء وغيرهم ومنحهم امتيازات وما نلاحظه عند غياب السلطة لسنوات لضعفها أو فشلها كانت تتواجد. زعامات محلية عشائرية بسطت نفوذها واستولت على قرار الحكم في القبيلة ، وقام الآغا يحي بإتباع نفس نهج هذه السياسة في جذب الشيوخ بالعطايا والمزايا المختلفة والعمل على جذبهم الى صفه، وحثهم على بسط الأمن والسلم والهدوء داخل فروع القبائل.

4.4. تطبيق سياسة تقسيم وتفكيك قبائل أولاد نايل

لجأت السلطة العثمانية إلى تقسيم قبائل أولاد نايل إلى قسمين رئيسيين وذلك بغرض التحكم في القبائل ونشاطها وتواجدها، وفرض رقابة صارمة عليها وكذا التخلص من المشاكل والصعوبات التي اختلقتها فروع هذه القبائل، فهي تشكل خطرا على تواجدها واستمراريتها، ونجد من هذا التقسيم :

- **قبائل أولاد نائل الشراقة:** والتي تضم أولاد أم الإخوة ، طعبة، عيسى، فرج، العيفة، الأعور، وهي ضمن سلطة خليفة بسكرة أي بايلك الشرق.
- **قبائل أولاد نائل الغرابة:** وتضم كل من أولاد يحي بن سالم، سعد بن سالم، سي احمد، الغويني، ضمن سلطة خليفة بايلك التيطري.[3]

رغم محاولات السلطة العثمانية من خلال تبني سياسة التقسيم والتفكيك وذلك من أجل الحد من تمردات قبائل اولاد نائل إلا أنها لم تفلح في ذلك، حيث استمرت تمردات وثورات النوائل على السلطة العثمانية أواخر العهد العثماني وذلك من خلال رفض المطالب المخزنية ورفض دفع الضرائب والاتاوات المفروضة عليهم، وقد ساعدتهم في ذلك العوامل الجغرافية السابقة الذكر، بالإضافة الى تكتلهم واتحادهم في وجه السلطة العثمانية.

---

[1] علي بن عبد العزيز عدلاوي، الأمثال الشعبية ضوابط و أصول منطقة الجلفة نموذجا ، مراجعة بشير هزرشي ، (الجزائر: سلسلة الوفاء لإحياء تراث الجلفة) ، ط1 ، 2010 ، ص 21

[2] سعد بلخيرات،مرجع سابق.

[3] خميسي سعدي، حملة الجنرال لادميرول على أولاد نايل ماي 1847/ 12 جوان 1849 : أسبابها ونتائجها، مجلة انسنة للبحوث والدراسات، العدد العاشر، 2014، ص 154.

5. خاتمة:

ويتضح لنا مما سبق قوله أن قبائل أولاد نائل استطاعت بفضل موقعها الجغرافي المميز أن تؤثر في مجريات الأحداث التاريخية أواخر الحكم العثماني في مسار وجوده خاصة بالمنطقة وقد خلصنا إلى:

-أن قبيلة أولاد نايل كانت قوة كبيرة جعلت السلطة العثمانية تحاول كسب ودهم وضمان ولائهم

-عرفت المنطقة شبه استقلال عن السلطة واتبعت السلطة العثمانية عديد الأساليب والطرق لاحتوائها.

- لعب الموقع الجغرافي دورا كبيرا في رسم خريطة النمط المعيشي والحياتي للقبيلة فضروريات الحياة حتمت على القبيلة الولوج والتقرب إلى السلطة في بعض الأحيان والتمرد والعصيان أحيانا أخرى.

-أدت تضاريس المنطقة باختلافها وتنوعها عاملا رئيسيا في صعوبة التحكم في سكان المنطقة.

-كان يتم دفع الضرائب عن طريق القوة من خلال الحملات العسكرية، حيث وجهت عدة حملات للمنطقة من قبل البايلكات الثلاث (التيطري والشرق والغرب) لإخضاعها.

– وما لاحظناه في عملنا هذا ندرة الكتابات والدراسات التاريخية والأعمال العلمية حول قبائل أولاد نائل بصفة خاصة في الفترة الحديثة فهي غير كافية والتعريف بهم على كافة الأصعدة والجوانب كذلك أن الموقع الجغرافي من خلال المناخ والتضاريس والبعد عن مركز الحكم والنشاط الاقتصادي وطبيعة الحياة البدوية كلها عوامل أثرت في رسم صورة الولاء أو الرفض للقبيلة ضد السلطة العثمانية..

5. ملاحق:خريطة قبائل أولاد نايل أواخر الحكم العثماني (1730–1830م)

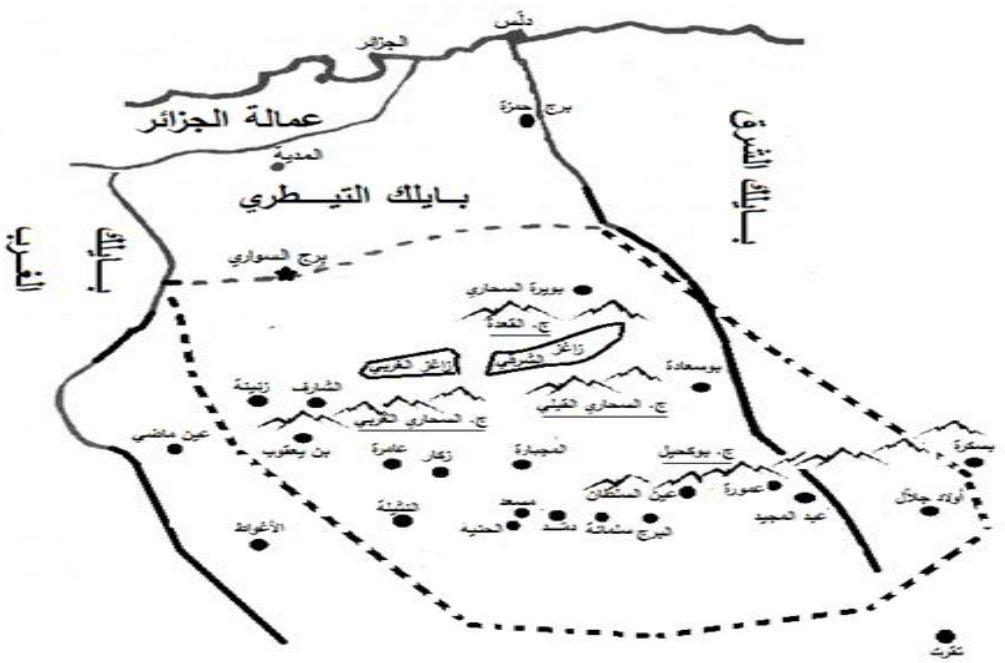

المصدر : موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا بتصرف من الباحث :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AF_%D9%86%D8%A7%D9%8A%D9%84

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. ابن زاكور ، ثلاث رحلات مغاربية، رحلة ابن زاكور الفاسي المتوفى (1120-1708) ، تح: مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، وزارة الثقافة الجزائر، 2011.
2. بوغفالة اودان، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينة المدية و مليانة في العهد العثماني،ط1، (الجزائر: مكتبة الرشاد و النشر و التوزيع)، 2009.
3. بوكعير تقي الدين، تلخيص الجمام من حياة الحيوان لمحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي المعسكري – دراسة و تحقيق- ، د.م.ن، 2020/2019.
4. التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير،باي الغرب الجزائري،الجنوب الصحراوي الجزائري،تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم،(القاهرة: عالم الكتب) ،ط1، 1969.
5. الديسي عبد الرحمان ، تحفة الأفاضل في نسبة أولاد نايل ، تح: عبد الكريم قذيفة، نشر الجمعية الثقافية عبد الرحمان الديسي، المسيلة، 2012
6. الزهار احمد الشريف، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، 1168 هـ-1246هـ/1754-1830م، تح: احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974
7. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954، ج7 (الجزائر: دار الغرب الاسلامي،ط1)، 2007.
8. سعيدوني ناصر الدين (2000)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000
9. سعيدوني نصر الدين،(1984)، النظام المالي للجزائر اواخر العهد العثماني (1792-1830)،(الجزائر: المؤسسة الوطنية لكتاب،)2007.
10. شالر ويليام ، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
11. الشايب محمد بلقاسم، الجلفة تاريخ ومعاصرة ، مراجعة احمد السبع، (الجزائر : دار أسامة).
12. شويتام أرزقي ، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.
13. الطيب محمد سليمان ، موسوعة القبائل العربية: بحوث ميدانية، مج1، ط2، دار الفكر العربي،1997 .
14. عباد صالح ،الجزائر خلال الحكم التركي ، (1514-1930) دار هومة للطباعة و النشر ، ط1. 2012.
15. عدلاوي علي بن عبد العزيز ، الأمثال الشعبية ضوابط و أصول منطقة الجلفة نموذجا ، مرجعة بشير هزرشي ،(الجزائر: سلسلة الوفاء لإحياء تراث الجلفة) ، ط1 ، 2010.
16. فلة موساوي القشاعي النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، القافلة للنشر والتوزيع، 2015.
17. قارة مبروك بن صالح، تاريخ ومدن قبائل الجزائر: التركيبة الاجتماعية، النسب والإنسان، ط1، منشورات المؤسسة الصحفية، المسيلة، الجزائر، 2012.
18. مباركي بلحاج، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل، منشورات السهيل، الجزائر، 2009.
19. محفوظ عامر بن المبروك، تحفة السائل بباقة من تاريخ أولاد نايل، دون طبعة، حاسي بحبح، الجزائر، 2006

20. الميلود قويسم، موسوعة التحقيق المتكامل في مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد نايل ومن جاورهم من العروق والرفق والقبائل الجزائرية، دار الهدى، 2006

21. نعاس علي، زياني عبد القادر ، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد ، ط2004، دار الكتاب الحديث.

22. يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا بتاريخ الجزائر و العرب ، ج1 ، (الجزائر: دار الهدى)، 2009.

23. (ARNAUD)(L)":histoiredesouledNail, Revue africaine, N17, 1873

24. Carrett , Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842 ,1844-1845, paris

25. George voisin :" l'algerie pour les algeriens, michel levy frérés édiateurs, Paris,1861Au capitaine et ferderman R.A, Notice sur l'histoire et l'administration de Beylk de téteri, Vo09, 1865.

الرسائل الجامعية:

1. رحموني عبد الجليل ، العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية 1520-1830، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،2020/2019.

2. سنوسي نائبي ، مساهمة قبائل أولاد نايل في المقاومات الشعبية من خلال المصادر الفرنسية ، مذكرة ماجيستير ، جامعة الجزائر 02، 2014.

المقالات:

1. بلبروات بن عتو ، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري ، مجلة الحوار المتوسطي ، المجلد 10 ، العدد 1 . 2010/03

2. جمعية أولاد نايل لحماية الآثار وترقية التراث، الخيمة النائلية أو البيت الحمراء http://ouladnailmessaad.blogspot.com/2013/03/blog-post_16.html، 2019/09/13.

3. بن فرج جيلالي،أسواقأولاد نائل الموسمية،من خلال الرحلات الحجيةبين القرنين 16و18 م ، مجلة العصور الجديدة،مجلد10 ، العدد 4، 1442/12، 2020

4. بلخيرات سعد ، مقال منشور في مجلة الوسط على الموقع الالكتروني https://elwassat.dz/ / ، تاريخ الاطلاع 22 مارس 2022.

5. درويش الشافعي ، علاقة قبائل أولاد نائل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير، مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، المجلد4،العدد1. جوان 2020.

6. هلايلي حنيفي، الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني ، دورية كان التاريخية ، مجلة الدراسات التاريخية و الأثرية ، المجلد 12 ، العدد 46 ، 2019/12/31.

الملتقيات:

7. قويسم المولود الأمين ، المقاومة الصوفية للإحتلال بمنطقة الجلفة : في الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962، في فعاليات الملتقى الوطني الأول بجامعة زيان عاشور ، يومي 25 و26 جوان 2013، الجلفة .